كان الأستاذ عبد العزيز الرفاعي عميد الندوة الرفاعية والرائد الأول للندوات الأدبية والفكرية، نموذجا مشرّفا للنبل وحسن الخلق. إليه وهو في دار البقاء هذه الأبيات حبا ورثاء وتحية.

رحيل

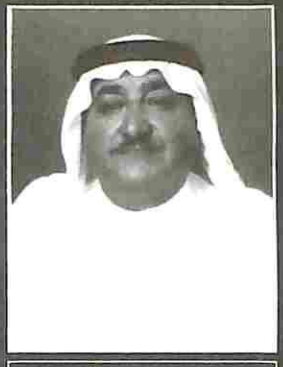

شعر: د. حيدر الغدير
السعودية

الموت سيف في البرية يبرق ... مازال يعتام الكرام ويرهق
يحمي الفتى دهرا فإن حُمَّ القضا ... أهوى عليه بفكتة لا تشفق
راياته منشورة وخيوله ... الغرب مسرح عَدْوها والمشرق
ولقد تخطفت العميد بسحرة ... فمضى لغايته ونحن سنلحق

❖ ❖ ❖

عبدَ العزيز سبقْت أسرعْتَ الخطى ... لا غُرْو أنك في الرفاق الأسبق
عصفت بكَ الأدواء عصفة فاتك ... مازال يعبث بالكرام ويحمق
يجتاح جسمك بيد أنك دوحة ... بالرغم من عسف المكاره تسمق
تشقى وينعم قاصدوك بظلها ... وتظل تمنح والبشاشة تشرق
حتى إذا أزف الرحيل وأسْرجت ... عند الوداع خيولُه والأينق
ودعا المنادي أن هلمَّ وغودرت ... أستار غيب الله وهي تمزق[1]
ماتت، ولكن وهي شامخة الذرى ... والركب يعجب إذ يراك ويرمق
موت كما تهوى، عليه مهابة ... يُهدى لمن صنعوا الجميل وأعرقوا
ما هالك الموت الزؤام وإنما ... قد جئته ثبتا تُغذ وتُعْنق
ومضيت للرحمن ترجو عفوه ... والآي زادُك واليقين الموثق

❖ ❖ ❖

قالوا: نعيت إلى الحياة غرورها ... ورثيت نفسك، والفراسة تصدق
وذووك بين عنائهم ورجائهم ... والحشد مطروف النواظر مطرق
ووقفت تنشد واللواعج جمة ... ولأنت بالغرر الخوالد أليق
سبعون قد وفد الشتاء يزورني[2] ... والنار قد خمدت وجف المورق
حنت إلى عبق التراب جوانحي ... لا غُرو يشتاق الرفيق الأرفق
وأخي الأثيرُ حيث خطور كائبي[3] ... ويظل من بين الغيوب يحدق
وعليه من حلل الكرامة تاجها ... وهناءة الرضوان والإستبرق
ويقول لي: فيما التريث يا أخي ... أنسيت موعدنا؟ حذار سأقلق
أقبل أبا عمار إنك ضيفنا ... لا أعهدنَّك حين تدعى تفرق
ولقد سبقتك وانتظرتك فأتني ... وأنا أخوك المصطفى والأعرق
فأجبته في لهفة محبورة: ... حان اللقاء، وإنني المتشوق
أنا عند عهدك يا جمالُ سريرتي ... محض الوفاء وزهوه والزنبق
ها قد أتيتك فارتقبني غدوة ... طُوِي الشراع، وضل مني الزورق

وأنا أسيرُ الموج لكنّ الرجا ... يطوي المخاوف والصعاب ويسبق
وغداً على باب الكريم لقاؤنا ... والموت يجمع يا أخي ويفرق
ولنا من الرحمن أوسع مأمل ... فلم المخاوف من لقاء يعشق؟!
ومع المخافة والرجاء مفازة ... والله نعم المستعان المغدق

❖ ❖ ❖

نم في جوار البيت نومة هانئ[٤] ... البشريات بساحه تتدفق
الكعبة الزهراء منك قريبة ... والآي تتلى والحمام يحلق
والحج والجمع الحسان مواكب ... والمئذنات ونورها والرونق
وعلى محياك النبيل بشاشة ... كالورد يغمرها السنا ويطوق
يلقاك بالرضوان عبق دعائنا ... وتزورك الرحمات وهي الأعبق
والعفو والغفران فيك قلادة ... يرنو لها الأبرار وهي تألق

❖ ❖ ❖

فإذا حثثنا الركب فارقبْ وفدنا ... واجمع أحبتك الذين تفرقوا
وتلقَّهم لقيا الصفيِّ صفيَّه ... والعهد أنك ذو وفاء يصدق
وأقم نديَّك فالرفاق تشوقوا[٥] ... لفنائه واستعجلوا وتحلقوا
شعر وفكر وائتلاق خواطر ... ودعابة تزجى وعود يحرق
وأخوّة كالفجر برأها الرضا ... من كل شائبة وحُب يورق
صفو وأنس واجتماع أحبة ... فتعود ندوتك البهيجة تشرق
والعطر إن حان الوداع تحية[٦] ... للمنتدين تظل ريا تنشق
في القلب منها والجوانح بردة ... للأكرمين نسيجها لا يَخْلَق
الود يكلؤها ويحرسها الوفا ... ورواؤها خضل الحواشي ريق

❖ ❖ ❖

عبدَالعزيز إليك ذوب سرائر ... خلصت، وأنت بكل فضل أخلق
ودعاء أصحاب شكوا فَقْد العلا ... قالوا وقد حزنوا الغداة وأرهقوا
العالم الباقي ملاذ أفيح ... حيث انتهيت، ونحن سجن ضيق

---

(١) قال تعالى في سورة ق: ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

(٢) ألقى الفقيد في الحفل الذي أقيم لتكريمه بنادي جدة الأدبي قصيدة رائعة عنوانها «سبعون» رثى فيها نفسه، وهذا البيت وأخوه التالي يشيران إلى ذلك، ويتضمنان ما قاله الشاعر الفقيد.

(٣) هو الأستاذ أحمد محمد جمال صفي الشاعر وتربه، وقد سبقه إلى الدار الآخرة بشهور.

(٤) دفن الفقيد في مكة المكرمة.

(٥) الفقيد صاحب أول منتدى أدبي ظل يقام في بيته كل خميس ليلا لأكثر من ربع قرن.

(٦) كان الفقيد يودع زواره عند انفضاض ندوته بعطر نفيس.